سيد نصار

حرب ليس فيها غالب ولا مغلوب!

ما يدور الآن في الخليج هو : أن الاتحاد السوفيتي لم يكن في واضح يسمح له بتحديد موقفه من الحرب القائمة الآن في منطقة الخليج بين العراق وإيران ! بينما ترى الولايات المتحدة الأمريكية على العكس من ذلك ، قد حددت موقفها منذ اليوم الأول ، واعتبرت هذه الحرب تهديدا لاستقرار منطقة تعتبر من أهم مناطق العالم حيوية لمصالح الغرب ، لاحتوائها على أكبر مخزون من الطاقة يستورده الغرب من هذه المنطقة .

لهذا فرغما سارعت الولايات المتحدة إلى تدعيم موقفها العسكري في المنطقة ، استجابة في جزء منها إلى طلب بعض حكام المنطقة ، وفي الجزء الآخر للدواعي الأمن والدفاع عن المصالح الغربية الحيوية المتمثلة أولا في الطاقة التي يستوردها الغرب . وثانيا في الموقع الاستراتيجي والحيوي في الدفاع عن الغرب ومصالحه .

وبالرغم من أن أهداف السياسة الأمريكية على حد قول أحد المحللين السياسيين الغرب ، لم تتغير منذ الحرب العالمية الثانية وهي المتمثلة في ، استقرار المنطقة واحتواء النفوذ السوفيتي ، .. فإنه يبدو أن هناك بعض الأفكار المتبلورة في واشنطن بشأن التحالفات الجديدة في المنطقة . فالسعودية وبعض حلفائها أخرى كنتيجة للحرب ، ازدادت رغبة في قبول وجود القاعدة الأمريكية العسكرية فوق أراضيها . وما سمعه من تصريحات لبعض المسؤولين في الخليج بأن الدفاع عن المنطقة يجب أن يكون من داخلها ، ليس أكثر من تصريحات للاستهلاك الداخلي فقط . فالخليج يعلمون أن كل القوى العسكرية لدول الخليج لا تكفي للدفاع عن إمارات ودويلات الخليج . ولهذا كانت المملكة العربية السعودية وهي أكبر من تلك الدول والدويلات التي يرفض بعض مسئوليها بالكلام مد المظلة الأمريكية إلى بلادهم . كانت واقعية مع نفسها وقدراتها العسكرية عندما طلبت مساعدة الولايات المتحدة الأمريكية التي أمدتها بطائرات أواكس ، وهي رادارات طائرة في إمكانها رصد تحركات الاتحاد السوفيتي في المنطقة القريبة من الخليج .

والذي حدث في الخليج يرهن على صحة تلك النظرية التي أعلن عنها الرئيس الأمريكي كارتر منذ عام بالتحديد عندما قال ، إن الولايات المتحدة ستستخدم كل الوسائل الممكنة لحماية المصالح الحيوية في الخليج ، ومن بينها والولايات المتحدة تبني سياسة قائمة على زيادة وجودها العسكري في المنطقة بين الخليج والمحيط الهندي وقد بدأت بالفعل بإعادة تنظيم قواتها المسلحة ووجود قوة سريعة الانتشار أو كما يسميها ، الانتشار السريع ، وتضم هذه القوى حسب التقدير حاليا إلى ٣٠٠ ألف جندي على أن تكون جاهزة تماما في منتصف الثمانينيات

وكرد على ما اعتبرته واشنطن فراغا بعد سقوط شاه إيران وما أسماه بريجنسكي ، بقوس الأزمة ، في جنوب شرق آسيا . تحركت واشنطن بسرعة غير عادية فطورت الخطاط على وجود دائم لها في المحيط الهندي . ووقعت الاتفاقيات مع الصومال وعمان وكينيا . حصلت بموجبها على حق استخدام أجواء وموانيء عديدة وتسهيلات عسكرية في المنطقة . ويجري البنتاجون أن يصرف على الأقل ٢٠٠ مليون دولار لتحديث القاعدة الصومالية في بربرة والتي كان يستخدمها السوفيت من قبل . كما أن البنتاجون مستمر في توسيع قاعدة ديجو جارسيا الأمريكية كما سيصرف حوالي ٤٠٠ مليون دولار في تحديث وتعميق قاعدة « راس بناس » المصرية التي يمكن للولايات المتحدة أن تستخدمها في حالة تقديم الدعم لإحدى الدول العربية سواء في الخليج أو على المحيط . ومعروف تصبح هذه القاعدة الجوية البحرية الأهم كثيرا عندما نعرف مدى الخطر الذي يمثله الوجود السوفيتي الشيوعي

ياسر عرفات

السنطان قابوس — جيمي كارتر

في كل من أوروبا وآسيا الاستراتيجية على المصالح الغربية والعربية الحيوية المشتركة.

وبالرغم من التوتر المتصاعد في الخليج بسبب الحرب بين العراق وإيران، وهي أقرب وأسرع خطرا على دول الخليج الغربية، فإن ذلك لا يقلل مدى الانزعاج الذي يبدأ يشعر به المسئولون في الخليج والذي بدأ يقلق الحجاج العرب من المنطقة العربية حيث استطاع الاتحاد السوفيتي عن طريق ليبيا أن يعيث وأضاجعه في هذا الحجاج، وما حدث في نداء من تدخل ليبي سافر لصالح طرف دون آخر وتوقف الاتحاد السوفيتي خلف ما حدث هناك ليس إلا مثالا لما يمكن أن يتكرر في هذه المنطقة، وهم يحذرون أن «مصر» هي المستهدفة من كل هذه التحركات التخريبية. والهدف كما ينظر إليه هنا هو شل مصر وإبعاد انظارها عما يحدث في الخليج ويجري من أحداث، حيث وقفت مصر من أول يوم ضد أي تهديد لمنطقة الخليج وأعلنت استعدادها لمساعدة وتلبية أي مساعدة تحتاج إليها دول الخليج الشقيقة رغم القطيعة الدبلوماسية والسياسية التي لم تستطع أن تحول دون مصر وإعلان موقف التضامن مع شقيقاتها في الخليج.

ويجهد المراقبون هنا أنفسهم حول الموقف الذي يجب أن يتخذوه حيال الحرب الدائرة الآن في الخليج بين إيران والعراق حيث يسود الاعتقاد هنا أن هذه الحرب تشكل كارثة بالنسبة لمنظمة التحرير الفلسطينية ومكسبا لإسرائيل فالحرب، تقوم بإضعاف العراق وهي إحدى دول المواجهة في حين تقف ليبيا وسوريا ضدها مما يعطي إسرائيل هدنة عسكرية لترتيب أوراقها العسكرية والسياسية من جديد، وهناك تكهنات حول سبب القيام الملك حسين اللافت للنظر للعراق وكيف إن هذا الموقف يتفق مع الإطار العام، ومن المحتمل أن يكون الملك حسين قد خطط بقصد منطق واعتقادات حزب العمل الإسرائيلي أي أنه بين سياسته على اعتباره في نظر واشنطن وتل أبيب خطة في الوصول إلى حل سلمي قائم على إعطاء الفلسطينيين حق تكوين دولة تشمل الضفة الشرقية للأردن وأجزاء من الضفة الغربية وقطاع غزة أي حل النزاع بين الفلسطينيين والإسرائيليين إلى نزاع بين الفلسطينيين والأردنيين، وبعبي آخرين ياسر عرفات والملك حسين جوزة من الذي يجب أن يرأس هذه الدولة، ويحلق ثالث حزب أعلية عربية مثل تلك القائمة في لبنان منذ ست سنوات تقريبا، وهذا ما يفسر لنا توزيع الولاء والانحيازات الجديدة في المنطقة حيث اتجارت الأردن إلى العراق والمنظمة إلى جانب سوريا.

وعلى أية حال فإن كلا من الأردنيين والفلسطينيين يحاولان إخفاء المشكلة ريثما كل منهما وجود مثل هذا التخطيط أو التفكير، ويرفض الطرفان مناقشة مثل هذه الأمور وإن كان الخفاء يبديها واضحاً والخلاف في وجهي نظريهما بالنسبة للنزاع مع إسرائيل.

وواقعا لمصادر عليمة ومطلعة هنا في الخليج فإن العراق لا يمكنه أن ينتصر ولا يمكن لإيران أن تهزم، وهم يعتقدون أن الحرب الإيرانية العراقية هي أكبر كارثة حلت بالشرق الأوسط منذ هجوم إسرائيل الخاطف على مصر وسوريا والأردن في يونية من عام ١٩٦٧. ويرى هؤلاء المراقبون أن موقف الاتحاد السوفيتي الذي يبدو محايدا لا يعني أنه لا يهتم بما يحدث وما يمكن أن تفرزه هذه الحرب من نتائج سلبية عليه وعلى وجوده في المنطقة، وهم يعتقدون من أن تدخلهم قد يفقدهم كلا من إيران والعراق.

وحتى عدم التدخل السوفيتي عليه أن يتم بشكل لا يؤدي إلى سوء الفهم والتفسير، فموسكو لا تريد أن تخسر العراق كما أنها لا تريد أن تدفع إيران إلى أحضان الغرب من جديد، إلا أن موسكو تعتبر إيران هي الطرف المعتدي عليه وإن كانوا لا يعلنون ذلك بصفة علنية، ولكن ليس هناك شك في أن كلا من الإيرانيين والعراقيين قد فهموا ذلك فقد نشرت جريدة الجيش الأحمر «النجمة الحمراء» في ٢٦ أكتوبر الماضي «لقد تم تغيير الأهداف المعلنة في بداية العمليات الحربية... ففي البداية طالبت العراق بالمنطقة الصغيرة نسبيا الواقعة على الضفة الشرقية لشط العرب والتي تغطي ٥٠٨٠ كيلو مترات مربعة ولكن الصحف العراقية تشير الآن خرائط يبدو فيها إقليم «خوزستان» بأكمله، الذي كان احد عربستان كجزء من الأرض العراقية ولا يمكن للمعنى المراد توصيله أن يكون أكثر وضوحا». مما يؤكد أن أهداف العراقيين من هذه الحرب قد مقبولة من موسكو، ولم يكن من الممكن أن تفصح عنه جريدة «النجمة الحمراء» لولا حصولها على توضيحات صريحة من السلطات العليا السوفيتية ومع ذلك يجب ألا يعبر ذلك تحولا لصالح إيران فنتائج الحرب غير مؤكدة ولا يمكن حتى التكهن بمدى استمرارها، ومن ثم فإن موسكو ليست مستعدة للتخلي عن صداقتها للعراق في مقابل صداقة غير مضمونة مع إيران، ومع ذلك أيضاً فإن أفهم الأمور إيران من وجهة نظر موسكو بأنها مجرد دول حاجة إن المنطقة الأمريكية حتى لو لم تكن لديه توثيق علاقاتها بموسكو!

والمشكلة في أن الروس وسط كل هذه التصريحات يعتقدون ولا يشعرون أن صدام حسين قد تحرر بالتواطؤ مع الأمريكان وبمساعدتهم وتحت إرشادهم.

هذه المواقف والأوضاع المختلفة والمتباينة في المنطقة العربية تدفع بالمحلل السياسي هنا إلى أن يكون أقرب إلى «قارئة الفنجان» التي عليها أن تتنبأ بالغيب منه إلى تفسير الأحداث في ضوء الواقع، فمن كان يظن قبل خمس سنوات فقط أن شيئاً بهذا الذي يحدث الآن... تحول اليوين من الغرب إلى الشرق وإيران من الغرب إلى الشرق واحتلال سوفيتي لشرق أفغانستان مجاورة ومعاهدة سورية مع موسكو كانت مرفوضة من قبل وتوجهات عراقية نحو الغرب مع ابتعاد عن الشرق ومعاهدة ليبية انتهت باحتلال تشاد ومغامرة أخرى ليبية تتجه نحو البحر وقطيعة دبلوماسية وسياسية بين معظم الدول العربية والأوروبية مع ليبيا!!

يحدث هذا كله في منطقتنا وبين العرب مع ذلك محتفين حول ما يمكن أن يحدث ولا يتحدثون حول ما قد حدث بالفعل، لقد أصبحت المنطقة بهذا وتتجه له منطقة «فراغ» بالفعل وليس من سبيل أمامنا هنا في مصر سوى ملء هذا الفراغ، وما حدث على حدودنا أو قريبا منها في الحروب الغربي قريبا من الشك العالم من وجود ليبي علموان سرف غير بالمثال وجودا سوفيتيا إلى هناك بمثل خطرا لا يمكن السكوت عليه.

ولما لا ريب فيه أن القاهرة واعية لكل هذه الأحداث وتعرف مراميها واتجاهاتها كما تعرف كيف تحد من امتداداتها الشبة عليا.

وأعظم تحدا من زيارة للخليج أن صالح ملامح سياسية جديدة تتشكل الآن في أذهان معظم حكام المنطقة وهي استهداف تصفية الخلافات مع مصر بالذات... ولكن العقبة الرئيسية في تنفيذها هي من الذي يجب أن يبادر بالخطوة الأولى، مصر أم العرب الذين قطعوا علاقاتهم معها؟

كثيرون يقولون إن صفة البادئة ميزة تتمتع بها مصر عن غيرها، ولو استعملتها الآن مع شقيقاتها العربيات لأعادت كل شيء إلى ما كان ولأحفت الكثيرين من الحكام مشقة الحرج والمخاطرة بالقيام بالخطوة الأولى نحو التقارب مع مصر التي قد يستغلها البعض وللأسف ممن هم أكثر رغبة في التقارب... في الزيارات والمشاورات وهو ما يجب أن نتفاداه الآن.

بوريسكي

حافظ الأسد

نجاة الصغيرة

مي وود